﴿أشياعكم﴾ أشباهكم في الكفر من الأمم.

وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي ٱلزُّبُرِ ﴿٥٢﴾.

﴿في الزبر﴾ في دواوين الحفظة.

وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ ﴿٥٣﴾.

﴿وكل صغير وكبير﴾ من الأعمال ومن كل ما هو كائن ﴿مستطر﴾ مسطور في اللوح.

إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾.

﴿ونهر﴾ وأنهار اكتفى باسم الجنس. وقيل: هو السعة والضياء من النهار. وقرئ بسكون الهاء، ونهر جمع نهر كأسد وأسد.

فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٥٥﴾.

﴿في مقعد صدق﴾ في مكان مرضيّ. وقرئ: في مقاعد صدق ﴿عند مليك مقتدر﴾ مقرّبين عند مليك مبهم أمره في الملك والاقتدار فلا شيء إلا وهو تحت ملكه وقدرته، فأي منزلة أكرم من تلك المنزلة وأجمع للغبطة كلها والسعادة بأسرها. عن رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة القمر في كل غب بعثه الله يوم القيامة ووجهه مثل القمر ليلة البدر»[1].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

## سورة الرحمن مكية

عدد الله عز وعلا آلاءه فأراد أن يقدّم أوّل شيء ما هو أسبق قدمًا من ضروب آلائه[2] وأصناف نعمائه وهي نعمة الدين فقدّم من نعمة الدين ما هو في أعلى مراتبها وأقصى مراقيها وهو إنعامه بالقرآن وتنزيله وتعليمه. لأنه أعظم وحي الله رتبة وأعلاه منزلة وأحسنه في أبواب الدين أثرًا، وهو سنام الكتب السماوية ومصداقها والعيار عليها. وأخر ذكر خلق الإنسان عن ذكره، ثم أتبعه إياه ليعلم أنه إنما خلقه للدين وليحيط علمًا بوحيه وكتبه وما خلق الإنسان من أجله، وكان العرض في إنشائه كان مقدّمًا عليه وسابقًا له. ثم ذكر ما تميز به من سائر الحيوان من البيان، وهو المنطق الفصيح المعرب[3] عما في الضمير.

ٱلرَّحْمَٰنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ﴿٤﴾.

و ﴿الرحمن﴾ مبتدأ وهذه الأفعال مع ضمائرها أخبار مترادفة، وإخلاؤها من العاطف لمجيئها على نمط التعديد، كما تقول: زيد أغناك بعد فقر، أعزك بعد ذلك، كثرك بعد قلة، فعل بك ما لم يفعل أحد بأحد فما تنكر من إحسانه.

ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴿٥﴾.

﴿بحسبان﴾ بحساب معلوم وتقدير سوى ﴿يجريان﴾ في بروجهما ومنازلهما وفي ذلك منافع للناس عظيمة منها علم السنين والحساب.

وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴿٦﴾.

﴿والنجم﴾ والثبات الذي ينجم من الأرض لا ساق له كالبقول، ﴿والشجر﴾ الذي له ساق. وسجودهما: انقيادهما لله فيما خلقا له وأنهما لا يمتنعان تشبيهًا بالساجد من المكلفين في انقياده.

**فإن قُلْتَ**: كيف اتصلت هاتان الجملتان بالرحمن؟ **قُلْتُ**: استغنى فيهما عن الوصل اللفظي بالوصل المعنوي لما علم أن الحسبان حسبانه والسجود له لا لغيره. كأنه قيل: الشمس والقمر بحسبانه، والنجم والشجر يسجدان له.

**فإن قُلْتَ**: كيف أخل بالعاطف في الجمل الأول ثم جيء به بعد؟ **قُلْتُ**: بكت بتلك الجمل الأول واردة على سنن التعديد ليكون كل واحدة من الجمل مستقلة في تقريع الذين أنكروا الرحمن وآلاءه، كما يبكت منكر أيادي المنعم عليه من الناس بتعديدها عليه في المثال الذي قدّمته. ثم ردّ الكلام إلى منهاجه بعد التبكيت في وصل ما يجب وصله للتناسب والتقارب بالعاطف.

**فإن قُلْتَ**: أي: تناسب بين هاتين الجملتين حتى وسط بينهما العاطف؟ **قُلْتُ**: إنّ الشمس والقمر سماويان، والنجم والشجر أرضيان، فبين القبيليين تناسب من حيث التقابل. وأنّ السماء والأرض لا تزالان تنكران قرينتين وأن جري الشمس والقمر بحسبان من جنس الانقياد لأمر الله فهو مناسب لسجود النجم والشجر. وقيل: علم القرآن جعله علامة وآية. وعن ابن عباس رضي الله عنه: الإنسان آدم.

---

(1) أخرجه الثعلبي وابن مردويه والواحدي والزيلعي 3/392.

(2) قال أحمد: تغير من هذا الكلام قوله: أنّ خلق الإنسان كان الغرض فيه، أي: المراد منه أن يحيط علماً بالكتب والوحي، ويعوّض بأن المراد بخلقه أن يدعى إلى ذلك، لا أن يقع ذلك منه، فهذا هو المراد العام، ثم منهم من أراد الله منه أن يحيط علماً بالدين فيسر له ذلك، ومنهم من أراد ضلالته وجهالته فبعد عنه ولم يوفق، والله الموفق للصواب.

(3) قال أحمد: وإنما خص الجمل الأول بذكرها تبكيتاً للإنسان لأجل = التصاق معانيها به، ألا ترى أنه منكور فيها نطقاً وإضماراً وحذفاً مدلولاً عليه في الكلام، فهو منطوق به مظهراً في قوله: ﴿خلق الإنسان﴾ ومضمراً في قوله: ﴿علمه البيان﴾ ومدلولاً على حذفه في قوله: ﴿علم القرآن﴾ فإنه المفعول الثاني أمّا قوله: ﴿الشمس والقمر بحسبان والنجم والشجر يسجدان﴾ فليس للإنسان فيهما ذكر البتة، وجل المقصود من سياقهما التنبيه على عظمة الله تعالى.

وعنه أيضًا: محمد رسول الله ﷺ. وعن مجاهد: النجم نجوم السماء.

وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ ﴿٧﴾.

﴿والسماء رفعها﴾ خلقها مرفوعة مسموكة حيث جعلها منشأ أحكامه ومصدر قضاياه، ومتنزل أوامره ونواهيه، ومسكن ملائكته الذين يهبطون بالوحي على أنبيائه. ونبه بذلك على كبرياء شأنه وملكه وسلطانه ﴿ووضع الميزان﴾ وفي قراءة عبد الله: وحفص الميزان، وأراد به كل ما توزن به الأشياء وتعرف مقاديرها من ميزان وقرسطون ومكيالي ومقياس أي: خلقه موضوعًا مخفوضًا على الأرض حيث علق به أحكام عباده وقضاياهم وما تعبدهم به من التسوية والتعديل في أخذهم وإعطائهم.

أَلَّا تَطْغَوْا فِى ٱلْمِيزَانِ ﴿٨﴾.

﴿ألا تطغوا﴾ لئلا تطغوا، أو هي أن المفسرة وقرأ عبد الله: لا تطغوا. بغير أن على إرادة القول.

وَأَقِيمُوا ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا ٱلْمِيزَانَ ﴿٩﴾.

﴿وأقيموا الوزن بالقسط﴾ وقوموا وزنكم بالعدل ﴿ولا تخسروا الميزان﴾ ولا تنقصوه. أمر بالتسوية ونهي عن الطغيان الذي هو اعتداء وزيادة وعن الخسران الذي هو تطفيف ونقصان. وكرّر لفظ الميزان تشديدًا للتوصية به وتقوية للأمر باستعماله والحث عليه. وقرئ: والسماء بالرفع. ولا تخسروا بفتح التاء، وضم السين، وكسرها وفتحها، يقال: خسر الميزان يخسره ويخسره. وأمّا الفتح فعلى أن الأصل ولا تخسروا في الميزان فحذف الجار وأوصل الفعل.

وَٱلْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ﴿١٠﴾.

﴿ووضعها﴾ خفضها مدحوّة على الماء ﴿للأنام﴾ للخلق وهو كل ما على ظهر الأرض من دابة. وعن الحسن: الإنس والجنّ. فهي كالمهاد لهم يتصرفون فوقها.

فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَٱلنَّخْلُ ذَاتُ ٱلْأَكْمَامِ ﴿١١﴾.

﴿فاكهة﴾ ضروب مما يتفكه به و﴿الأكمام﴾ كل ما يكم أي: يغطي من ليفه وسعفه وكفراة وكله منتفع به كما ينتفع بالمكموم من ثمره وجماره وجذوعه. وقيل: الأكمام أوعية الثمر الواحد كم بكسر الكاف.

وَٱلْحَبُّ ذُو ٱلْعَصْفِ وَٱلرَّيْحَانُ ﴿١٢﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٣﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ ﴿١٤﴾ وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ﴿١٥﴾.

﴿العصف﴾ ورق الزرع وقيل: التبن ﴿والريحان﴾ الرزق وهو اللب. أراد فيها ما يتلذذ به من الفواكه. والجامع بين التلذذ والتغذي وهو تمر النخل وما يتغذى به وهو الحب. وقرئ: والريحان بالكسر، ومعناه: والحب ذو العصف الذي هو علف الأنعام، والريحان الذي هو مطعم الناس. وبالضم على ونو الريحان فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه. وقيل: معناه وفيها الريحان الذي يشم وفي مصاحف أهل الشأم، والحب ذو العصف والريحان. أي: وخلق الحب والريحان، أو وأخص الحب والريحان، ويجوز أن يراد وذا الريحان فيحذف المضاف ويقام المضاف إليه مقامه.

فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٦﴾ رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ ﴿١٧﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٨﴾.

والخطاب في ﴿ربكما تكذبان﴾ للثقلين بدلالة الأنام عليهما. وقوله: سنفرغ لكم أيها الثقلان. الصلصال الطين اليابس له صلصلة. والفخار الطين المطبوخ بالنار وهو الخزف.

**فإن قُلْتَ:** قد اختلف التنزيل في هذا وذلك قوله عزّ وجل من حمأ مسنون من طين لازب من تراب! **قُلْتُ:** هو متفق في المعنى ومفيد أنه خلقه من تراب جعله طينًا ثم حمأ مسنونًا ثم صلصالاً و ﴿الجان﴾ أبو الجن وقيل: هو إبليس. والمارج اللهب الصافي الذي لا دخان فيه. وقيل: المختلط بسواد النار، من مرج الشيء إذا اضطرب واختلط به.

**فإن قُلْتَ:** فما معنى قوله: ﴿من نار﴾؟ **قُلْتُ:** هو بيان لمارج كأنه قيل: من صافٍ من نار أو مختلط من نار، أو أراد من نار مخصوصة. كقوله تعالى: ﴿فأنذرتكم نارًا تلظى﴾[1] قرئ: رب المشرقين ورب المغربين بالجر بدلاً من ربكما، وأراد مشرقي الصيف والشتاء ومغربيهما.

مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾.

﴿مرج البحرين﴾ أرسل البحر الملح والبحر العذب متجاورين متلاقيين لا فصل بين الماءين في مرأى العين.

بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢١﴾.

﴿بينهما برزخ﴾ حاجز من قدرة الله تعالى ﴿لا يبغيان﴾ لا يتجاوزان حدّيهما ولا يبغي أحدهما على الآخر بالممازجة. قرئ:

يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٢٢﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٣﴾.

قرئ: يخرج، ويخرج من أخرج وخرج ويخرج – أي: الله عز وجل – اللؤلؤ والمرجان بالنصب ونخرج بالنون. واللؤلؤ الدر، والمرجان هذا الحزز الأحمر وهو البسذ. وقيل: اللؤلؤ كبار الدر والمرجان صغاره.

(1) سورة الليل، الآية: 14.

**فإن قُلْتَ**: لم قال منهما، وإنما يخرجان من الملح[1]! **قُلْتُ**: لما التقيا وصار كالشيء الواحد جاز أن يقال: يخرجان منهما. كما يقال: يخرجان من البحر ولا يخرجان من جميع البحر ولكن من بعضه. وتقول: خرجت من البلد، وإنما خرجت من محلة من محاله بل من دار واحدة من دوره. وقيل: لا يخرجان إلا من ملتقى الملح والعذب.

وَلَهُ ٱلْجَوَارِ ٱلْمُنشَـَٔاتُ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَـٰمِ ﴿٢٤﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٥﴾.

**﴿الجواري﴾** السفن وقرئ: الجوار بحذف الياء ورفع الراء ونحوه:

لها ثنايا أربع حسان وأربع فكلها ثمان

و**﴿المنشآت﴾** المرفوعات الشرع وقرئ بكسر الشين وهي الرافعات الشرع أو اللاتي ينشئن الأمواج بجريهنّ. والأعلام جمع علم وهو الجبل الطويل.

كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾.

**﴿عليها﴾** على الأرض.

وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَـٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٨﴾.

**﴿وجه ربك﴾** ذاته والوجه يعبر به عن الجملة والذات. ومسكين مكة يقولون[2]: أين وجه عربي كريم ينقذني من الهوان؟ و**﴿ذو الجلال والإكرام﴾** صفة الوجه. وقرأ عبد الله: ذي على صفة ربك ومعناه: الذي يجله الموحدون عن التشبيه بخلقه وعن أفعالهم، أو الذي يقال له: ما أجلك وأكرمك! أو من عنده الجلال والإكرام للمخلصين من عباده. وهذه الصفة من عظيم صفات الله. ولقد قال رسول الله ﷺ: «ألظوا بياذا الجلال والإكرام»[3]. وعنه عليه الصلاة والسلام: «أنه مر برجل وهو يصلي ويقول: يا ذا الجلال والإكرام، فقال: «قد استجيب لك»[4].

**فإن قُلْتَ**: ما النعمة في ذلك؟ **قُلْتُ**: أعظم النعمة وهو مجيء وقت الجزاء عقيب ذلك. كل من أهل السموات والأرض مفتقرون إليه فيسأله أهل السموات ما يتعلق بدينهم وأهل الأرض ما يتعلق بدينهم ودنياهم.

يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ ﴿٢٩﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٠﴾.

**﴿كل يوم هو في شان﴾** أي: كل وقت وحين يحدث أمورًا ويجدد أحوالاً. «كما روي عن رسول الله ﷺ أنه تلاها فقيل له: وما ذلك الشأن؟ فقال: من شأنه أن يغفر ذنبًا ويفرج كربًا ويرفع قومًا ويضع آخرين»[5]. وعن ابن عيينة: الدهر عند الله تعالى يومان: أحدهما اليوم الذي هو مد عمر الدنيا فشأنه فيه الأمر والنهي والإماتة والإحياء والإعطاء والمنع، والآخر يوم القيامة فشأنه فيه الجزاء والحساب، وقيل: نزلت في اليهود حين قالوا: إنّ الله لا يقضي يوم السبت شيئًا. وسأل بعض الملوك وزيره عنها فاستمهله إلى الغدّ وذهب كئيبًا يفكر فيها. فقال غلام له أسود: يا مولاي أخبرني ما أصابك لعل يسهل لك على يدي فأخبره. فقال له: أنا أفسرها للملك. فأعلمه. فقال: أيها الملك شأن الله أن يولج الليل في النهار، ويولج النهار في الليل، ويخرج الحي من الميت، ويخرج الميت من الحي، ويشفي سقيمًا، ويسقم سليمًا، ويبتلي معافًا، ويعافي مبتلى، ويعز نليلاً ويذل عزيزًا، أو يفقر غنيًا ويغني فقيرًا. فقال الأمير: أحسنت، وأمر الوزير أن يخلع عليه ثياب الوزارة، فقال: يا مولاي هذا من شأن الله، وعن عبد الله بن طاهر أنه دعا الحسين بن الفضل وقال له: أشكلت على ثلاث آيات دعوتك لتكشفها لي، قوله تعالى: **﴿فأصبح من النادمين﴾**[6] وقد صح أنّ الندم توبة، وقوله تعالى: **﴿كل يوم هو في شان﴾**. وقد صح أنّ القلم قد جف بما هو كائن إلى يوم القيامة. وقوله تعالى: **﴿وأنّ ليس للإنسان إلا ما سعى﴾**[7] فما بال الأضعاف. فقال الحسين: يجوز أن لا يكون الندم توبة في تلك الأمّة ويكون توبة في هذه الأمّة لأنّ الله تعالى خصّ هذه الأمّة بخصائص لم يشار لهم فيها الأمم. وقيل: إن ندم قابيل لم يكن على قتل هابيل ولكن على حمله. وأما قوله: **﴿وأنّ ليس للإنسان إلا ما سعى﴾**[7] فمعناه ليس له إلا ما سعى عدلاً ولي أن أجزيه بواحدة ألفًا فضلاً. وأما قوله: **﴿كل يوم هو في شان﴾** فإنها شؤون يبديها لا شؤون يبتدئها. فقام عبد الله وقبّل رأسه وسوّغ خراجه.

سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ ﴿٣١﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٢﴾.

---

(1) قال أحمد: هذا القول الثاني مردود بالمشاهدة، والصواب هو الأوّل، ومثله: ﴿لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم﴾ وإنما أريد إحدى القريتين هذا هو الصحيح الظاهر، وكما تقول: فلان من أهل ديار مصر، وإنما بلده محلة واحدة منها.

(2) قال أحمد: المعتزلة ينكرون الصفات الإلٰهية التي دلّ عليها العقل، فكيف بالصفات السمعية؟ على أنّ من الأشعرية من حمل الوجه واليدين والعينين على نحو ما ذكر، ولم ير بيانها صفات سمعية. ثم قال: فإن قلت: كيف عد هذا من الآلاء والنعم وحاصله فناء الخلق؟ وأجاب: بأنّ معناه: أنهم يفنون ثم يبعثون إلى دار الجزاء إلى دار النعيم المقيم الحقيق، بأن يكون هو النعيم لا غير.

(3) أخرجه الترمذي في كتاب: الدعوات، باب: في عقد التسبيح باليد (الحديث رقم: 3524).

(4) كتاب: الدعوات، باب: ما جاء في عقد التسبيح باليد (الحديث رقم: 3527).

(5) أخرجه ابن ماجه في المقدمة، باب: فيما أنكرت الجهمية (الحديث رقم: 202). وأخرجه ابن حبان في كتاب: الرقائق، باب: العتق والزهد والقناعة (حديث رقم: 689).

(6) سورة المائدة، الآية: 31.

(7) سورة النجم، الآية: 39.

﴿سنفرغ لكم﴾ مستعار من قول الرجل لمن يتهدده سأفرغ لك، يريد: سأتجرّد للإيقاع بك من كل ما يشغلني عنك حتى لا يكون لي شغل سواه، والمراد التوفر على النكاية فيه والانتقام منه. ويجوز أن يراد ستنتهي الدنيا وتبلغ آخرها وتنتهي عند ذلك شؤون الخلق التي أرادها بقوله: ﴿كل يوم هو في شأن﴾[1] فلا يبقى إلا شأن واحد وهو جزاؤكم، فجعل ذلك فراغًا لهم على طريق المثل. وقرئ*: سيفرغ لكم، أي الله تعالى. وسأفرغ لكم وسنفرغ بالنون مفتوحًا ومكسورًا وفتح الراء وسيفرغ بالياء مفتوحًا ومضمومًا مع فتح الراء. وفي قراءة أبي سنفرغ إليكم بمعنى سنقصد إليكم والثقلان الإنس والجن سميا بذلك لأنهما ثقلا الأرض.

يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ ﴿٣٣﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٤﴾.

﴿يا معشر الجن والإنس﴾ كالترجمة لقوله: أيها الثقلان ﴿إن استطعتم﴾ أن تهربوا من قضائي وتخرجوا من ملكوتي ومن سمائي وأرضي فافعلوا. ثم قال: لا تقدرون على النفوذ، ﴿إلا بسلطان﴾ يعني بقوّة وقهر وغلبة، وأنى لكم ذلك ونحوه وما أنتم بمعجزين في الأرض ولا في السماء. وروي أنّ الملائكة عليهم السلام تنزل فتحيط بجميع الخلائق، فإذا رآهم الجن والإنس هربوا فلا يأتون وجهًا إلا وجدوا الملائكة أحاطت به.

يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ ﴿٣٥﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٦﴾.

قرئ*: ﴿شواظ﴾ ﴿ونحاس﴾ كلاهما بالضم والكسر، والشواظ اللهب الخالص والنحاس الدخان، وأنشد:

تضيء كوضوء سراج السليـ ط لم يجعل الله فيه نحاسًا

وقيل: الصفر المذاب يصب على رؤوسهم. وعن ابن عباس رضي الله عنهما: إذا خرجوا من قبورهم ساقهم شواظ إلى المحشر. وقرئ*: ونحاس مرفوعًا عطفًا على شواظ، ومجرورًا عطفًا على نار. وقرئ*: ونحس جمع نحاس وهو الدخان، نحو لحاف ولحف. وقرئ*: وتحس أي: ونقتل بالعذاب، وقرئ*: نرسل عليكما شواظًا من نار ونحاسًا ﴿فلا تنتصران﴾ فلا تمتنعان.

فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ ﴿٣٧﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٨﴾.

﴿وردة﴾ حمراء ﴿كالدهان﴾ كدهن الزيت. كما قال: كالمهل وهو دردى الزيت وهو جمع دهن أو اسم ما يدهن به كالحزام والإدام قال:

كأنهما مزادتا متعجل فريان لما تدهنا بدهن

وقيل: الدهان الأديم الأحمر. وقرأ عمرو بن عبيد وردة بالرفع بمعنى: فحصلت سماء وردة، وهو من الكلام الذي يسمى التجريد كقوله:

فلئن بقيت لأرحلنّ بغزوة نحوي الغنائم أو يموت كريم

فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ ﴿٣٩﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٠﴾.

﴿إنس﴾ بعض من الإنس ﴿ولا جان﴾ أريد به ولا جن. أي: ولا بعض من الجن فوضع الجان الذي هو أبو الجن موضع الجن، كما يقال: هاشم ويراد ولده، وإنما وحد ضمير الإنس في قوله عن ذنبه لكونه في معنى البعض. والمعنى: لا يسألون لأنهم يعرفون بسيما المجرمين وهي سواد الوجوه وزرقة العيون.

**فإن قُلْتَ:** هذا خلاف قوله تعالى: ﴿فوربك لنسألنهم أجمعين﴾[2] وقوله: ﴿وقفوهم إنهم مسؤولون﴾[3] **قُلْتُ:** ذلك يوم طويل وفيه مواطن فيسألون في موطن ولا يسألون في آخر. قال قتادة: قد كانت مسألة ثم ختم على أفواه القوم وتكلمت أيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون. وقيل: لا يسأل عن ذنبه ليعلم من جهته ولكن يسأل سؤال توبيخ. وقرأ الحسن وعمرو بن عبيد: ولا جأن فرارًا من التقاء الساكنين وإن كان على حدّه.

يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ ﴿٤١﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٢﴾ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى يُكَذِّبُ بِهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٤٣﴾.

﴿فيؤخذ بالنواصي والأقدام﴾ عن الضحاك: يجمع بين ناصيته وقدمه في سلسلة من وراء ظهره. وقيل: تسحبهم الملائكة تارةً تأخذ بالنواصي، وتارة تأخذ بالأقدام.

يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ ﴿٤٤﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٥﴾.

﴿حميم آن﴾ ماء حار قد انتهى حره ونضجه أي: يعاقب عليهم بين التصلية بالنار، وبين شرب الحميم. وقيل: إذا استغاثوا من النار جعل غياثه الحميم. وقيل: إن واديًا من أودية جهنم يجتمع فيه صديد أهل النار فينطلق بهم في الأغلال فيغمسون فيه حتى تنخلع أوصالهم، ثم يخرجون منه وقد أحدث الله لهم خلقًا جديدًا. وقرئ* يطوفون من التطويف ويطوفون. أي: يتطوّفون ويطافون. وفي قراءة عبد الله: هذه جهنم التي كنتما بها تكذبان تصليان لا تموتان فيها ولا تحييان يطوفون بينها. ونعمة الله فيما نكره من هول العذاب نجاة الناجي منه برحمته وفضله وما في الإنذار به من اللطف.

وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٧﴾ ذَوَاتَآ

(1) سورة الرحمٰن، الآية: 29.
(2) سورة الحجر، الآية: 92.
(3) سورة الصافات، الآية: 24.

أَفْنَانٍ ﴿٤٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٩﴾.

﴿مقام ربه﴾ موقفه الذي يقف فيه العباد للحساب يوم القيامة يوم يقوم الناس لرب العالمين ونحوه لمن خاف مقامي ويجوز أن يراد بمقام ربه أن الله قائم عليه. أي: حافظ مهيمن. من قوله تعالى: ﴿أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت﴾[1] فهو يراقب ذلك فلا يجسر على معصيته. وقيل: هو مقحم كما تقوله: أخاف جانب فلان وفعلت هذا لمكانك. وأنشد:

ذعرت به القطا ونفيت عنه ... مقام الذئب كالرجل اللعين

يريد: ونفيت عنه الذئب.

فإن قُلْتَ: لم قال ﴿جنتان﴾؟ قُلْتُ: الخطاب للثقلين كأنه قيل: لكل خائفين منكما جنتان: جنة للخائف الأنسي، وجنة للخائف الجني، ويجوز أن يقال: جنة لفعل الطاعات، وجنة لترك المعاصي؛ لأنّ التكليف دائر عليهما. وأن يقال: جنة يثاب بها، وأخرى تضم إليها على وجه التفضل كقوله تعالى: ﴿للذين أحسنوا الحسنى وزيادة﴾[2] خص الأفنان بالذكر وهي الغصنة التي تتشعب من فروع الشجرة؛ لأنها هي التي تورق وتثمر فمنها تمتد الظلال ومنها تجتني الثمار.

وقيل: الأفنان ألوان النعم ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين قال:

ومن كل أفنان اللذاذة والصبا ... لهوت به والعيش أخضر ناضر

فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴿٥٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥١﴾.

﴿عينان تجريان﴾ حيث شاؤوا في الأعالي والأسافل. وقيل: تجريان من جبل من مسك. وعن الحسن: تجريان بالماء الزلال إحداهما: التسنيم والأخرى: السلسبيل.

فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴿٥٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٣﴾.

﴿زوجان﴾ صنفان قيل: صنف معروف، وصنف غريب.

مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴿٥٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٥﴾.

﴿متكئين﴾ نصب على المدح الخائفين، أو حال منهم؛ لأنّ من خاف في معنى الجمع. ﴿بطائنها من استبرق﴾ من ديباج ثخين وإذا كانت البطائن من الاستبرق فما ظنك بالظهائر، وقيل: ظهائرها من سندس، وقيل: من نور. ﴿دان﴾ قريب يناله القائم والقاعد والنائم. وقرئ: وجنى بكسر الجيم.

فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٥٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٧﴾ كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٩﴾.

﴿فيهنّ﴾ في هذه الآلاء المعدودة من الجنتين والعينين والفاكهة والفرش والجنى أو في الجنتين لاشتمالهما على أماكن وقصور ومجالس. ﴿قاصرات الطرف﴾ نساء قصرن أبصارهنّ على أزواجهنّ لا ينظرن إلى غيرهم. لم يطمث الإنسيات منهنّ أحد من الإنس ولا الجنيات أحد من الجن[3] وهذا دليل على أنّ الجن يطمثون كما يطمث الإنس. وقرئ لم يطمثهنّ بضم الميم.

قيل: هنّ في صفاء الياقوت، وبياض المرجان، وصفار الدر أنصع بياضًا. قيل: إنّ الحوراء تلبس سبعين حلة فيرى مخ ساقها من ورائها كما يرى الشراب الأحمر في الزجاجة البيضاء.

هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴿٦٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦١﴾.

﴿هل جزاء الإحسان﴾ في العمل ﴿إلا الإحسان﴾ في الثواب. وعن محمد بن الحنفية: هي مسجلة للبر والفاجر. أي: مرسلة. يعني: أنّ كل من أحسن أحسن إليه، وكل من أساء أسيء إليه.

وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٣﴾.

﴿ومن دونهما﴾ ومن دون تينك الجنتين الموعودتين للمقربين ﴿جنتان﴾ لمن دونهم من أصحاب اليمين.

مُدْهَآمَّتَانِ ﴿٦٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٥﴾.

﴿مدهامّتان﴾ قداد هامّتا من شدّة الخضرة.

فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴿٦٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٧﴾.

﴿نضاختان﴾ فوّارتان بالماء. والنضخ؛ أكثر من النضح لأنّ النضح غير معجمة مثل الرش.

فإن قُلْتَ: لم عطف النخل والرمان على الفاكهة وهما منها!.

فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴿٦٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٩﴾.

قُلْتُ: اختصاصًا لهما وبيانًا لفضلهما كأنهما لما لهما من المزية جنسان آخران. كقوله تعالى: ﴿وجبريل وميكائيل﴾[4] أو لأنّ النخل ثمره فاكهة وطعام، والرمان فاكهة ودواء، فلم يخلصا للتفكه. ومنه قال أبو حنيفة رحمه الله: إذا حلف لا يأكل فاكهة فأكل رمانًا أو رطبًا لم يحنث وخالفه صاحباه.

---

(1) سورة الرعد، الآية: 33.
(2) سورة يونس، الآية: 36.
(3) قال أحمد: يشير إلى الردّ على من زعم أنّ الجن المؤمنين لا ثواب لهم، وإنما جزاؤهم ترك العقوبة وجعلهم تراباً. وقال في قوله: ﴿ومن دونهما جنتان﴾: إنما تقاصرت صفة هاتين الجنتين عن= صفة الأوليين، حتى قال: ﴿ومن دونهما﴾؛ لأنه قال: ﴿مدهامّتان﴾ وذلك دون ذواتا أفنان ونضاختان، وذلك دون تجريان وفاكهة، وذلك دون من كل فاكهة وكذلك صفة الحور.
(4) سورة البقرة، الآية: 98.

obeikandl.com

فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ ﴿٧٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧١﴾.

﴿خيرات﴾ خيرات فخففت كقوله عليه السلام: «هينون لينون»[1] وأما خير الذي هو بمعنى أخير فلا يقال فيه: خيرون ولا خيرات. وقرئ: خيرات على الأصل والمعنى: فاضلات الأخلاق حسان الخلق.

حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ﴿٧٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٣﴾.

﴿مقصورات﴾ قصرن في خدورهنّ يقال: امرأة قصيرة وقصورة ومقصورة مخدرة. وقيل: إنّ الخيمة من خيامهنّ درّة مجوّفة.

لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٧٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٥﴾.

﴿قبلهم﴾ قبل أصحاب الجنتين دل عليهم ذكر الجنتين.

مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِىٍّ حِسَانٍ ﴿٧٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٧﴾ تَبَارَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾.

﴿متكئين﴾ نصب على الاختصاص والرفرف ضرب من البسط. وقيل: البسط. وقيل: الوسائد. وقيل: كل ثوب عريض رفرف. ويقال لأطراف البسط وفضول الفسطاط: رفارف، ورفرف السحاب: هيد به. والعبقري: منسوب إلى عبقر تزعم العرب أنه بلد الجن فينسبون إليه كل شيء عجيب. وقرئ: رفارف خضر بضمتين، وعباقري كمدائني نسبة إلى عباقر في اسم البلد. وروى أبو حاتم: عباقري بفتح القاف ومنع الصرف وهذا الأوجه لصحته.

**فإن قُلْتَ:** كيف تقاصرت صفات هاتين الجنتين عن الأوليين حتى قيل: ومن دونهما؟ **قُلْتُ:** مدهامّتان دون نواتا أفنان، ونضاختان دون تجريان، وفاكهة دون كل فاكهة، وكذلك صفة الحور والمتكأ. وقرئ: ذو الجلال صفة للاسم عن رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة الرحمٰن أدّى شكر ما أنعم الله عليه»[2].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

## سورة الواقعة مكية

إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١﴾.

﴿وقعت الواقعة﴾ كقولك: كانت الكائنة، وحدثت الحادثة، والمراد: القيامة. وصفت بالوقوع أنها تقع لا محالة. فكأنه قيل: إذا وقعت التي لا بدّ من وقوعها. ووقوع الأمر نزوله. يقال: وقع ما كنت أتوقعه. أي: نزل ما كنت أترقب نزوله.

**فإن قُلْتَ:** بم انتصب إذا؟ **قُلْتُ:** بليس. كقولك: يوم الجمعة ليس لي شغل، أو بمحذوف يعني: إذا وقعت كان كيت وكيت. أو بإضمار اذكر.

لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ﴿٢﴾.

﴿كاذبة﴾[3] نفس كاذبة، أي: لا تكون حين تقع نفس تكذب على الله وتكذب في تكذيب الغيب؛ لأنّ كل نفس حينئذ مؤمنة صادقة مصدّقة وأكثر النفوس اليوم كواذب مكذبات. كقوله تعالى: ﴿فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده﴾[4] ﴿لا يؤمنون به حتى يروا العذاب الأليم﴾[5] ولا يزال الذين كفروا في مرية منه حتى تأتيهم الساعة بغتة. واللام مثلها في قوله تعالى: ﴿يا ليتني قدمت لحياتي﴾[6] أو ليس لها نفس تكذبها وتقول لها: لم تكوني. كما لها اليوم نفوس كثيرة يكذبنها يقلن لها: لن تكوني. أو هي من قولهم: كذبت فلانًا نفسه في الخطب العظيم، إذا شجعته على مباشرته. وقالت له: إنك تطيقه وما فوقه فتعرّض له ولا تبال به. على معنى أنها وقعة لا تطاق شدّة وفظاعةً، وأن لا نفس حينئذ تحدّث صاحبها بما تحدّثه به عند عظائم الأمور وتزين له احتمالها وإطاقتها؛ لأنهم يومئذ أضعف من ذلك وأذل، ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿كالفراش المبثوث﴾[7] والفراش مثل في الضعف وقيل: ﴿كاذبة﴾ مصدر كالعاقبة. بمعنى: التكذيب من قولك حمل على قرنه فما كذب. أي: فما جبن وما تثبط. وحقيقته: فما كذب نفسه فيما حدثته به من إطاقته له وإقدامه عليه. قال زهير:

إذا ما الليث كذب عن أقرانه صدقا

أي: إذا وقعت لم تكن لها رجعة ولا ارتداد.

خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ﴿٣﴾.

﴿خافضة رافعة﴾ على هي خافضة رافعة ترفع أقوامًا وتضع آخرين. إما وصفًا لها بالشدّة؛ لأنّ الواقعات العظام كذلك يرتفع فيها ناس إلى مراتب ويتضع ناس، وإما لأنّ الأشقياء يحطون إلى الدركات والسعداء يرفعون إلى الدرجات، وإما لأنها تزلزل الأشياء وتزيلها عن مقارها فتخفض بعضًا وترفع بعضًا، حيث تسقط السماء كسفًا وتنتثر الكواكب وتنكدر وتسير الجبال فتمرّ في الجوّ مرّ السحاب. وقرئ: خافضة رافعة بالنصب على الحال.

إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا ﴿٤﴾.

﴿رجت﴾ حركت تحريكًا شديدًا حتى ينهدم كل شيء

---

(1) تقدم في الفرقان.

(2) أخرجه الثعلبي والواحدي وابن مردويه في تفسيره وأخرجه الزيلعي 3/399.

(3) قوله تعالى: ﴿ليس لوقعتها كاذبة﴾ قال فيه: كاذبة صفة تقدير موصوفها نفس كاذبة.

(4) سورة غافر، الآية: 84.

(5) سورة الشعراء، الآية: 201.

(6) سورة الفجر، الآية: 24.

(7) سورة القارعة، الآية: 4.